والمسك في صِحاف الفضة والذهب وأُتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضَّة وأُوقد لهُ العودِ المندّى ان كان شاتيًا . وان كان صائفًا بطن بالثلج وأُتي هو واصحابهُ بكساء صيفية ينفصل هو واصحابهُ بها في الصيف . وفي الشتاء الفراء الفَنَك وما اشبههُ . ولا والله ما جلست معهُ يومًا قطُّ الَّا خلع عليَّ ثيابهُ التي عليهِ في ذلك اليوم وعلى غيري من جلسائهِ . هذا مع حلم عمَّن جهل وضحك وبذل من غير مسألة . مع حسن وجه وحُسن حديث . ما رأيت منهُ خنًى قطّ ولا عربدة . ونحن يومئذٍ على الشِرك »(١

نعم انَّ في هذه الاوصاف مبالغةً لا تُنكر لكنَّها تبيّن ما ابقى في مخيّلة العرب من الاثر عزُّ بني غسَّان وترَفهم لاسيَّا ان جبلة بن الايهم لم يَعُد في اوج عظمتهِ بعد ان اباد الفرس سلطان بني جفنة لَّما غزوا الشام سنة ٦١٣ فنزعوا منهم لقب الملك . وهذا امرٌ مقرَّر(٢ رغمًا عمَّا جاء في موْرّخي العرب بما يشعر بخلاف ذلك . فان كان اذن بعض الخاصَّة بلغ الى هذه الرفعة والجاه فما القول عن بعض الملوك الذين تقدَّموهُ من ذوي الشأن والعزّ كالحارث والمنذر وغيرهما (ستأتي البقية)

لفظ الجيم العربيَّة

للمستشرق الاديب اغاثنجلوس كريمسكي نزيل بيروت

وقفنا على مقالةٍ في العدد الثالث من مجلَّة المشرق الغرّاء لحضرة الاب هنري لامنس المحترم عنوانها « لفظ الجيم أحلقيٌّ هو ام شجري ؟ » . يظنُّ الكاتب الفاضل ان لفظ الجيم المصري (gue) اقدم عند العرب من لفظ كل جيم غيرها وان اللفظ الشجري مستحدث . وختم بقولهِ كما يأتي :

« فان رغب الينا سائل وطلب ان نبيّن تعيين الزمن الذي فيهِ جرى هذا الابدال من الحلقي الى الشجري اجبنا بكل صراحة اننا نجهل ذلك . امَّا اذا كان لا بدَّ من ابداء رأينا في المسألة قلنا ولكن مع التحفُّظ وليس قولنا الَّا من باب الافتراض انَّ الجيم الشجريَّة ظهرت بنفوذ العجم في البلاد المجاورة لهم في ما بين النهرين والعراق . ولا يبعد انها كانت لغة

١) راجع روايات الاغاني للاب صالحاني الجزء الاول ص ٦٣

٢) راجع كتاب نولديك عن ملوك غسَّان Die Ghassânischen Fürsten, p. 42, 43

إهل البلاط في الدولة العبّاسية التي قوي فيها النفوذ العجمي منـــذ القرن الثاني للهجرة . وكأنّما الناس حاولوا التشبُّه باهل البلاط وسكان العاصمة . . . ونحن نكرر القول ان ما ابديناهُ ليس الّا رأيًا نعدل عنهُ متى دلّنا البرهان على مذهب آخر اقرب الى الصواب »

فمع ما في المقالة المذكورة من الافادة واللذّة للمطالع نستميح من حضرة الكاتب ان نبدي اعتراضنا على بعض آرائهِ في لفظ الجيم وخصوصاً على نسبته للنفوذ الفارسي تأثيرًا في لغة العرب كما ذكر في المقالة

وهاك الاسباب التي تحملنا على ابداء هذا الاعتراض

اوّلًا مع افتراضنا ان العجم كان لهم حقيقةً نفوذ على لفظ العرب نضطرُّ للإقرار ان ليس العجم الذين قدروا على تحويل gue الى j او dj لانك تجد عندهم كلاًّ من هذه الالفاظ الثلاثة gue, j, dj التي كانت موجودة ايضًا قبل الاسلام . ولم يكن يلتبس عليهم امر تمييزها ابدًا بل كانوا يفرقون بينها بكلّ تدقيق . فحيث لا اثر عندهم للالتباس بين dj (او j) و gue كيف قدروا اذن ان يُحدثوا في اللفظ العربيّ تغييرًا كهذا ؟

ثانيًا ان في مخالطات العرب والعجم ما كانت اللغة الفـــارسية موثّرة بل متأثرة لان اهل فارس كانوا يجتهدون ان يقلّدوا العرب في ادقّ الفاظهم وعباراتهم حتى دفع الجهـدُ بعضهم الى ترك بلادهم والذهاب الى البادية . وهناك مكثوا بضع سنواتٍ مقيمين بين القبائل لكي يتعلّموا اللفظ العربيّ ويطّلعوا على ادقّ اسرارهِ . هكذا فعل الجوهري مثلًا . امّا العرب فلم يأخذوا عن اللغـــة الفارسية الّا بعض كلمات . امّا اذا كان حضرة الاب المحترم يظن ان لغة الفرس كان لها تأثير على لغة اهل البلاط فذلك زعم لا دليل عليهِ في التاريخ . بل عندنا ادلّة كافية تاريخية توّيد انهُ رغمًا عمّا كان للفرس من النفوذ السياسي في ايّام العبّاسيين الاوّلين لم يكن للغتهم أدنى تأثير على اللغة العربية . وآداب اللغة الفارسيـــة عينها لم تظهر الّا في القرن الثالث من الهجرة (١

ثالثًا لا يمكن ان يكون للنفوذ الفارسي اثر في تحويل gue الى dj او j لان اللفظ الشجري عند العرب تقدّم النفوذ الفارسيّ . وهاك برهانهُ :

١) انظر ما كتبتهُ عن تاريخ اللغة الفارسيّة في الجزء الرابع والاربعين من دائرة المعارف المطبوعة في بطرسبرج ومقدمة ترجمتي لشاهنامه للفردوسي المطبوعة في لِبرغ

لنذكرنَّ قبل كلّ شيء. ان الجيم الشجرية على نوعين dj و z (١. ولا بدّ من الظنّ ان لفظ z المنتشر في برّ الشام احدث من dj ومشتقّ منهُ. ولنا في بعض الفاظ العامَّة ادلّة واضحة على صحّة هذا القول ككلمة « دشر » التي تأتي من جشر « وتَدَشَّا » ودشيشة اللتان تستعملان عند العامَّة عوضاً عن جشيشة وتجشأ. وكذلك يوجد عندهم كلمة « داسوس » المشتقَّـة من جاسوس ولفظة دسّ عوض جسّ (دسّ في اللغة الفصحى معناها اخفى) وكلمات اخرى غيرها. فبما ان لفظ d يستحيل اشتقاقه من z (كما ومن gue) يلزمنا اذن ان نعتقد ان الجيم في جشر وجشيشة وغيرها كانت تُلفَظ dj وليس z. ثم انَّ كلمـة « دجاجة » لها فائدة مهمَّـة في الدلالة على ما تقدَّم اذ انَّ هذه الكلمة تُلفَظ عند الدمشقيين « jâjé » بدون الدال لا djâjé. فمثل هذا التحريف لا يمكننا ان نجد لهُ تعليلًا سوى هذا وهو ان الدمشقيّين كانوا يلفظون هذه الكلمة قبلًا « djâdjé » عوضاً عن « dadjâdjé » ناسين انَّها مبتدئة بدال. ثم انهم لما ابتدأوا يلفظون الجيم z (عوض عن dj) تحوّلت لفظة djâdjé الى jâjé بدون دال

فنرى اذن انهُ لا بدّ من القول بان الدمشقيين كانوا يلفظون z مثل dj كي نعلل عن فقد دال « دجاجة » في لفظهم الحالي

ولندع الآن z ولنبحث عن dj و gue لنرى ايها اقدم

لمَّا انتشر دين العرب بين الفرس انتشرت معهُ ايضاً حروفهم الهجائية. ولكن الفرس اخترعوا بضعة احرف جديدة للتعبير عن اصواتٍ غير موجودة في اللغة العربية فمن هذه الحروف احدثوا اوَّلًا ژ (تلفظ z) فإذًا لفظة z لم يكن لهـا وجود في لغة عرب ذلك العهد (وهنا برهان ثانٍ ان اللفظ z الشائع الآن في سوريَّة مستحدث). واخترع الفرس ايضاً حرف (گ) للفظة gue. فاذًا gue (او الجيم الحلقية) لم تكن موجودة عندهم ايضاً (اي عند العرب) اما اللفظ dj فلم يجد الفرس لزوماً لايجـاد حرف جديد يعبّر عن هذا الصوت بل استعملوا الحرف العربي « ج ». فيتَّضح من هنا ان عرب ذلك العهـد كانوا

١) تكتب dj بحرفين (d + j) ولكن لا يسعُ القارئ عن انَّ لفظ dj صوت واحد وليس دْج. فليست الدال ساكنة. والصوت dj هو الذي نسمعهُ مثلًا في لغة بعض الاعراب وفي اللغات الفارسية والتركية والايطالية والانكليزية وفي اللغات السلافية وبعض الفيلولوجيين يؤكدون ان هذا الصوت يجوز ان يكتب هكذا d/4 + j

يلفظون الجيم تقريباً dj. قلت «تقريباً» لغايةٍ. لانّ عندنا دلائل على ان جيم ذلك الزمن مع كونها شجريّة اي dj لم تكن مع ذلك شجريَّة محضة

وفحص الكلمات الفارسية المكتوبة بيد العرب يدلّنا على ان الجيم ما كانت لا شجرية تامّة ولا حلقيّة لانّ كتّاب العرب كانوا يستعملون من جهةٍ حرف الجيم لاجل كتابة الكلمات الفارسية المحتوية على لفظ dj و tch بحروف عربية ومن جهةٍ كانوا يستعملون احياناً حرف الجيم في خطّ بعض الكلمات التي كان العجم يلفظونها gue كقولك جوهر التي يلفظها الفارسيون govher

وممّا يهمّنا ايضاً الفحص عنهُ استعمال الجيم في كتابة الاسماء المتداولة في روسيّة الجنوبية لانّ ذلك يوصّلنا الى ذات النتيجة التي استخرجناها من الكلمات الفارسية. لا يخفى ان السيّاح العرب طرقوا روسية الجنوبية مراراً في القرنين الثالث والرابع من الهجرة وخصّوا لوصفها قسماً مهمّاً من مؤلفاتهم. ومن الذين اشتهروا في كتاباتهم عنها ابن فُضلان رسول الخليفة المقتدر بالله (سنة ٩٢٢ للمسيح) وابو دُلَف (٩٤٠) وابن رُستة (٩١٣) والمسعودي (٩٤٤) وابو زيد البلخي (٩٥٠) وابرهيم بن يعقوب الاندلسي (٩٦٠) وغيرهم. فعند ذكرهم مثلاً الاسم Pétchénêgui (وهم قوم سكنوا جنوبي روسيّة) كانوا يكتبون «البجناك» او «البجناكية» او «البجاناكية». فاستعملوا الكاف لكي يعبّروا عن gue والجيم عن tché. امّا لفظ tché فهو قريب من dj كما هو معلوم. وعندهم ايضاً اسم Esseguel وقد كتبهُ ابن رستة مرّة «اسغل» بالغين ومرّة «اسكل» بالكاف لا بالجيم(١ امّا كلمة oulichtch فهي مكتوبة عند ابن رستة «أُلشج» (ص ٢٩٠) وكلمة joupanetch (لقب الملك عند الصقالبة) كتبها ابن رستة «شوبنج» (ص ٣٢٠ و١٣٨) ومع ذلك نجد عند ابن رستة «جرادست» وهي لا تقرأ الّا gradistye (ص ٣٢٠ و ١٤٢) و«جله» (٢٦٠) تكتب عند مؤرخي الروم Γέλας وتأليف ابرهيم بن يعقوب المتقدّم ذكرهُ يهمنا جدًّا في هذا البحث لان المؤلف كان من الاندلس

١) طبعت جغرافيّة ابي علي احمد بن عمر بن رستة (ويُروى: دُستة) في بطرسبرج سنة ١٨٦٩ (وجدّد طبعها الدكتور دي غوي (de Goeje) في الجزء السابع من مجموع جغرافيي العرب طُبع في ليدن سنة ١٨٩٢). وكلمة «اسغل» واردة في الصفحة ٢٢ و«اسكل» في الصفحة ٢٥ من الطبعة الاولى

حيث لا اثر للنفوذ الفارسيّ فإذًا يمتنع على كل حال ولو الافتراض ان لغة ابرهيم كانت قابلة لتأثير اللفظ العجمي. وسافر ابن يعقوب من الاندلس الى بلاد الصقالبة. ولمّا وصل الى بلاد اللونكبارد (Longobards) كتب اسم هذا الشعب «لنوكبرد» (ص ٤٢) بالكاف لا بالجيم(١ وزار ايضًا مدينة البندقية التي كان الافرنج يسمّونها Venedja (يكتب Venegia) او Venetsia (يكتب Venezia) فكتب اسمها «بناجية» بالجيم (ص ٥٣) وكذلك كتب اسم Nêmtchin «نامجين» (ص ٤٠) Kiptchak او Kipdjak «قفجاق» (ص ٤٢) و Pétchénêgui «البجاناكية» (ص ٣٨ و ٤٢ و ٤٤) فيتضح من هنا ان لفظ الجيم المغربي كان في ذلك العصر مشابهًا dj. ومع ذلك كتب ابرهيم اسم Francs «الافرنج» بالجيم ذاتها

فيستنتج ان الجيم في القرون الاولى من الهجرة كان لفظها لا شجريًّا تامًّا ولا حلقيًّا بل متوسطًا اي dj و gue معًا

والفظ هذا الصوت ليس بالشيء المتنع اذا لفظنا dj او gue من وسط سقف الحلق. وهو موجود مثلًا في كلمة اوكرائينيّة vyïjdjiaty (٢. وفي كثير غيرها يصعب تمييز لفظها بين vyïjdjiaty و vyïjguiaty لانهُ مشترك بين dj و gue

فعلى ما اظن ان تلك الجيم المتوسطة كانت موجودة عند العرب في القرون الاولى من الهجرة. ولمّا انتشر هولاء وتفرّقوا في اقطار المعمور تعدّدت لهجاتهم. فاخذ عرب الشرق يلفظون الجيم المتوسطة شجرية محضة ومنهم لفظوها كالياء. امّا عرب الغرب فجعلوا يلفظونها حلقيّة تامّة

غير ان ملاحظاتنا هذه لا تعمّ الّا القرون الاولى للهجرة او ربمّا بضعة قرون قبلها. واذا

١) وصل الينـا وصف سياحة ابرهيم في نسخة لرجل اندلسي غيره اسمهُ البكريّ (القرن الحادي عشر) مأخوذة عن ابرهيم. وطبع تاريخ البكري في بطرسبرج سنة ١٨٧٨

٢) اللغة الاوكرائينيّة اسمها بالفرنسي la langue d'Ukraïne ou petite-russienne اي لغة الروسيين الساكنين في روسيّة الصغرى. ويسموها ايضًا اللغة الروسيّة القديمة او الاصليّة. ويتكلم اللغة المذكورة تقريبًا ثلاثون مليون نفس وكانت مشهورة جدًّا في ابتداء تاريخ روسية. امّا بقيّة الروسيين فيتكلّمون لغة روسيّة اخرى كان الافرنج يسمّونها قبلًا la langue moscovite ويسمّونها الآن la langue russe. وقد صارت لغة الدولة. ولكن اللغة الروسيّة الاصليّة هي الاكرائينيّة

سألنا احد هل لفظ الجيم المتوسطة وجد عند العرب دائمًا منذ القدم وهل هو اصليّ فنقول انّ مقابلة اللغات السامية تدلّنا على ان الجيم العربية كانت تلفظ كالجيم المصريَّة حلقيةً محضة قبل الهجرة بقرون عديدة اي عند ما كانت تلك اللغات متقاربة جدًا لا يميزها الّا فرق يسير. ثم تحوّلت رويدًا رويدًا الى نصف شجرية او متوسطة. ثم بعد انتشار العرب في كل المسكونة رجع عرب الغرب الى اللفظ الحلقي الذي كان مفقودًا في عصر نبيّ الاسلام. فاذًا لفظ الجيم المشهور الآن في مصر مع كونه شبيهًا باللفظ القديم ليس عريقًا في القدمية بل مستحدثًا شبيهًا بالقديم pseudoarchaïsme. وحاصل القول ان لفظ المصريين ج مثل gue شبيه بالتغييرات الطارئة على بيت كان ابيض ثم لُوّن اصفر فلما زالت صفرتهُ وبدأت تظهر الوانهُ القديمة عاد فصُبغ ثانيةً ابيض. نعم انهُ رجع الى البياض ولكن هل يمكننا القول ان هذا اللون الابيض الجديد قديم....؟؟

ملاحظات للمشرق

انّنا نثني على ناسج بردة هذه المقالة المستملحة وفيها من الملاحظات الدقيقة ما يكشف النقاب عن مُبهم مسألة طالما تردّد فيها الكَتَبةُ وارتابوا متحيّرين. الّا انّنا نأخذ على صاحبها الاديب انّهُ قد انتقل عن موضوع بحثنا شيئًا ما فجاءت براهينهُ مجاريةً لحججنا ليست بمعاكسة

وغاية ما كنّا تحرّينـــا في مقالتنا عن الجيم ان نبيّن: اولًا ان العرب قبل الاسلام لم يعرفوا الجيم الشجريَّة. ولنا عاضد في قول الدكتور كَمْپفماير وهو ممّن بحثوا بحثًا مدقّقًا في لهجة العرب القديمة فورد في جملة قولهِ ما نصُّهُ: «ولسائل ان يسأل وكيف كان يلفظ العرب حرف الجيم عند ما ظهروا على بلاد فلسطين. فاجيب انّ الذين اتوا منهم من جهات الجنوب لم يعرفوا غير الجيم الحلقية (gue).. ولا ادري اذا يصحّ ذلك في القبائل التي أتت من الشمال»(١. ثمّ اردف قولهُ بان الحجج المثبتة بانّ الجيم كانت شجريَّة بينهم لا تسبق القرن الثاني العشر حين عمّ صوت الجيم السوريّة

ثانيًا وقد بحثنا عن اصل دخول الجيم الشجريَّة بين العرب فقلنا انّها لمّا كانت مجهولةً عندهم لا غرو انّهم اخذوها من جيرتهم الفُرس وهي عندهم شائعة.

ثالثًا لا يمكن ان نسلّم بما قالهُ جناب المسيو كرمسكي انّ نفوذ الفرس انّما كان سياسيًّا فقط لانّ نفوذهم الادبيّ لا يُنكر والدليل على ذلك انّ طائفة كُبرى من اللغويين

(١ راجع Kampffmeyer: *Alte Namen in heutigen Palœstina*, p. 18

الاوَّلين كانوا من العجم وربَّما تعصَّبوا لملَّتهم وحاولوا ايثارها على العرب . ولا يسعنا هنا الَّا انّ نذكّر مكاتبنا الفاضل بما كتبهُ في هذا الامر الدكتور غُلدتسير (١ . فلا يُستغرب اذن نفوذ الفرس في اللفظ العربيّ

رابعًا انَّ ملاحظات المسيو كِرمسكي على لفظة « دجاجة » لا تخلو من البراعة والحذق بيد أنَّها غير ثابتة اذ يمكن القول ان « جاجة » صورة مختصرة اعتادها العامَّة بدل « دجاجة » كما يقولون « زيرة » بدل « جزيرة » او كما كان يلفظ عرب الاندلس « عامة » بدل « نعامة » (٢

هذا ونكرّر الثناء على المسيو كرمسكي ولا نشكّ انّ القرّاء يتلقّون مقالتهُ بمزيد الشكر لما اودع فيها من الاعتبارات المبتكرة (٣ ه . ل

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعيّ

(تابع لما سبق)

فيظهر من قول وادِنكتون ان زينب كانت كريمة النسب تنتمي الى اشرف عيال تدمر على انَّ ذلك لم يكن ليرضيها . وكأني بها خجلت من ان تُنتسب الى ابنة تاجر فحاولت بما امكنها من الوسائل ان تخفي اصلها . وذلك امرٌ شائع بين ملوك المشرق اذا خمل نسبهم ان يدَّعوا لهم اصلًا يرتقون بهِ الى من تقدَّمهم من الملوك

قال المسيو دي ڤوكويه (٤ : انّي اعدُّ سكوت المؤرخين عن صحَّة نسب زينب ضربًا من التملّق . ولمَّا رأى العرب ما بلغت اليهِ من السطوة وعلوّ القدر والخبرة العجيبة في آداب الحرب احبُّوا ان يتوهَّموا لمن دانت لها البلاد اصلًا شريفًا عزوها اليهِ في حياتها . وجاء في تاريخ تريبيليوس پوليو ان زينب كانت تنتسب الى تلك الملكات اللواتي اشتهرنَ في تواريخ

١) Goldziher : *Muham. Studien* I, 208

٢) راجع ايضًا كتابنا الموسوم Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, *Beyrouth,* 1890, p. 157

٣) لمَّا كان هذا العدد من المجلَّة على وشك الطبع وردتنا مقالة أُخرى في لفظ الجيم لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي وان شاء الله سنثبت منها في عدد آخر ما يهمُّ قرَّاءنا معرفتهُ

٤) V., p. 33